﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٦١﴾ [الحجر: 61]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

اخْتِلافُ سببِ مجيءِ الملائكةِ، لاختلافِ الأمرَيْنِ، منَ البِشارة والإهلاكِ

لمّا تمَّ ما أُريدَ الإخبارُ عنه من تحاوُرِ الملائكة، مع إبراهيمَ عليه السلام، أخبرَ عن أمرهم مع لوطٍ عليه السلام، وللإشارةِ إلى أنَّ الملائكة، جاؤوا إلى إبراهيمَ، بعنوانِ الضَّيفِ، وإلى لوطٍ بعنوانِ الرّسالة، فجاءت هذه الآيةُ[1].

المَعْنى الإجْماليُّ:

الشُّروعُ في بيانِ إهلاكِ المُجرمين، وتَنْجيَةِ آلِ لوطٍ المؤمنينَ

يقولُ اللّه تعالى: فلمّا جاءتِ الملائكةُ لوطًا وأهلَه، قال لهم: من أيِّ الأقوام أنتم، ولأيِّ غَرضٍ جئتم؟ وإنِّي أخاف أن تمسّوني بمكروه؛ وإنَّما قال هذه المقالةَ؛ لأنَّه لم يشاهدْ منَ المرسَلين حين مقاساةِ الشَّدائد ومعاناةِ المكايدِ من قومه الَّذين يريدون بهم ما يريدون – إعانةً ولا مُساعدةً، فأنكر خُذلانَهم له، وتركَهم نصرَه حين المضايقةِ الَّتي حلَّت به بسببِهم حتَّى اضطرَّ إلى أن يقول: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ [هود: 80] كما جاء في سورة هود[2].

الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

فائِدةُ الفاء في قولِه: ﴿فَلَمَّا﴾:

بيانُ كيفيّةِ إهلاكِ المُجرمين، وتَنْجيَةِ لوطٍ والمؤمنين

أفادتِ الفاء هنا سرعةَ وصول الملائكةِ إلى لوطٍ عليه السلام ودخولِهم بَيْتَهُ[3]، وفيها إشعارٌ بالشّروعِ بالتّفصيلِ ببيانِ كيفيةِ إهلاكِ المُجرمين وتَنجِيَةِ آلِ لوط حسبما أُجملَ في الاستثناء[4]، ولِتقرير أنَّ مجيءَ الملائكة إلى إبراهيمَ عليه السلام كان قد سبقَ مجيئَهم إلى قوم لوطٍ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/69.
(2) المراغي، تفسير المراغي: 14/35.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 11/69.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/83.

دلالةُ الأداةِ (لَمّا) في السّياقِ:

اشتدَّ إنكارُ لوطٍ، خوفًا على ضيوفِه، وحسرةً لِما يفعلُه قومُه

لَمّا كانتِ الأداةُ (لَمّا) بمعنى حين، فتفيدُ وقوعَ شيء لوقوع آخرَ، بحيث يكونُ الثّاني منهما مترتِّبًا على الأوّل؛ فهو بمنزلة الجواب المعلَّقِ وقوعُه على وقوع شيءٍ آخرَ أفاد التّعبيرُ بـ﴿فَلَمَّا﴾ أنَّ قولَ لوطٍ للملائكة ترتّبَ على مجيء الملائكةِ عنده، وأنَّ مجيئَهم كان سببًا لنُكرانِه لهم وأنَّ قولَه لهم وقعَ في وقتِ مجيئِهم من غيرِ مُهلةٍ، فكأنَّه ما اشتدَّ إنكارُه لهم إلّا بعد الدّخولِ إلى منزله، خوفًا عليهم وحزنًا لما يفعلُ قومُه[1].

نُكتةُ تَعْديةِ الفعلِ ﴿جَآءَ﴾:

التَّعبيرُ بالمجيءِ، بمعنَى الحُضورِ

لَمّا تعدَّى الفعلُ ﴿جَآءَ﴾ إلى المفعولِ ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ بنفسِه من غيرِ حرفِ الجرِّ (إلى) أفادَ أنَّ الملائكة جاؤوا لوطًا وحضروا عنده، فليس المرادُ منَ المجيء مجرَّدَ وُصولِهم إليه من غير حضورٍ، ويدلُّ عليه مخاطبتُه لهم في قولِه: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾.

دَلالةُ التَّعبيرِ بلفْظِ ﴿جَآءَ﴾:

مَجيءُ المرسلين، تكليفٌ إلهيٌّ من ربِّ العالمين

يحتملُ أنْ يكونَ المرادُ من الفعلِ ﴿جَآءَ﴾، ابتداءَ مجيئِهم لوطًا ﵇ بمعنَى بمجرَّدِ مجيئِهم وحضورِهم عنده ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ مطلقَ كينونتِهم عنده، بما يشملُ حضورَهم ومحاورتَهم معه، فإنَّ ما حُكي عنه ﵇ بقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ﴾ أي بالعذاب الّذي كنتَ تتوعَّدُهم به، فيمترون فيه، ويكذِّبونَك قد قشَّروا العصا وبيَّنوا له ﵇ جليّةَ الأمر، فأنَّى يمكنُ أنْ يعتريَه بعدَ ذلك المساءةُ منهم وضيقُ الذَّرْعِ بهم؟!(2).

(1) البقاعي، نظم الدرر: 11/69.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/83.

سببُ إيثارِ التّعبيرِ بالمجيءِ إلى الآلِ:

أتْباعُ الرّسولِ، لهم حُكمُه في البِشارةِ والنّجاةِ منَ العذابِ

قال ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾، مع أنَّ الملائكة قد أتَوا لوطاً ولم يأتوا جميعَ آلِه؛ للإشعار بأنَّ مجيئَهم للوطٍ ولإنجائِه في حكم مجيئِهم لآلِه وأتباعِه، فهو تشريفٌ لآلِه وبشرى لهم بأنَّ أتباعَ الرّسول لهم حكمُ الرّسول في البشارةِ بالتّنجيَةِ منَ العذاب، كما أنَّه لمّا كان لوطٌ عليه السلام وأتباعُه في بلدةٍ واحدةٍ وكان الملائكةُ قد نَزَلوا في مَنْزِلَةٍ بَيْنَ أهْلِه، عبَّرَ بقولِه ﴿جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾، وإنْ كانَ المَقْصودُ بِالخِطابِ والمَجيءِ هو لوطٌ عليه السلام[1].

بَلاغةُ وضْعِ الظّاهِرِ موضعَ المُضمَرِ:

انتحاءُ أسلوبِ الإظهارِ، تكريمٌ للمُظهرِ

قولُه تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾، وفيه وُضِعَ المُظهَرُ موضعَ المُضمَر، ولم يقل: (فلمّا جاءهم المرسلون)؛ للإيذان بأنَّ مجيئَهم لتحقيقِ ما أُرسِلوا به منَ الإهلاك للقوم المجرمين، والتَّنجيةِ للوطٍ عليه السلام وأتباعِه، كما أنَّ بالإظهارِ في موضعِ الإضمار مزيدَ تكريمٍ للمُظهَر.

فائِدةُ الإضافةِ في قولِه: ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾:

تَشريفُ أتباعِ الرُّسلِ بِنِسْبتِهم إليهم

لمّا كانتِ الإضافةُ على معنى اللّام التي تفيدُ الاختصاصَ، أفادتِ الإضافةُ تشريف أتباعِ لوطٍ عليه السلام، فكان التّكريرُ على معنى تقريرِ اختصاصِهم بنبيِّهم ونسبتِهم له، بسببِ اتّباعِهم له وإنكارِهم على القومِ المجرمين المنحرفين.

بَلاغةُ تقديمِ ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾ على ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾:

تعظيمُ شأنِ مهمَّةِ الملائكة فيما كُلّفوا به، منَ الإهلاكِ والتَّنجيةِ

قُدِّمَ المفعول على فاعلِه لإفادة التّأكيدِ والتّخصيصِ، بمعنى أنَّ الملائكة لم تَأْتِ إلى أحدٍ بعد مغادرتِهم إبراهيمَ عليه السلام سوى إلى آلِ لوطٍ، تعظيمًا لشأنِ مهمَّتِهم في إهلاكِ المُنحرفين وتنجيةِ المؤمنين.

---

(1) أبو القاسم الكرماني، لباب التفاسير، ص: 998، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/63.

دَلالةُ (ال) في﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾:

تنوّعُ وصفِ الملائكةِ، بتَنوُّعِ مهمّتِهم

(ال) هنا للعهدِ، للإيذانِ بأنَّ الّذين جاؤوا لوطًا همُ المرسَلون الّذين خاطبهم إبراهيمُ بعنوان الرّسالةِ كما تقدَّم، فتنوّعَ وصفُهم بتنوّعِ مهمّتِهم.